الرِّسَـــالة ٢١

السُّجُــودُ نَوْعَــان

(Arabic - Two kinds of worship)

أحبّائِى.. حَديثَنَا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: **السُّجُــودُ نَوْعَــان**

ومِنْ إنجيل يُوحنّا الأصْحَاح الرّابع نقرَأ العَدَدَيْن الثالِثَ والعِشْرينَ والرّابعَ والعِشْرينَ:

" ولكِنْ تأتِى سَاعَة وهِى الآنَ.. حينَ السّاجدُونَ الحقيقيُّونَ يَسْجدُونَ للآبِ بالرُّوح والحَقِّ.. لأنّ الآبَ طالِبٌ مِثْلَ هؤلاء السّاجدينَ لهُ.. اللهُ رُوحٌ.. والذينَ يَسْجُدُونَ لهُ فبالرُّوح والحَقِّ ينبَغِى أنْ يَسْجُدُوا ".[١]

أعطى الله لبنى اسرائيل الشريعة لعبادته مستخدماً عبده موسى لتوصيلها إليهم.. وكانت الوصايا مكتوبة على لوحين وسجّلها موسى بسفر التثنية.. وكانت أولى الوصايا المكتوبة بالسفر: "فالآنَ يَا إسْرَائِيلَ مَاذا يَطلبُ مِنكَ الرّبُّ إلهُكَ إلا أنْ تتقِى الرّبّ إلهكَ لِتسلكَ فِى كلِّ طرقِهِ وتحبُّهُ وتعْبُدُ الرّبّ إلهكَ مِنْ كلِّ قلبكَ ومِنْ كلِّ نفسِكَ".. وجاء ذكر تلك الوصيّة بالأصحاح الرابع مِنْ إنجيل متى وبإنجيل مرقس أيضاً.. كمَا يلى: "لأنّهُ مكتوبٌ للرّبِّ إلهكَ تسْجُدُ وإيّاهُ وَحْدَهُ تعْبُدُ". والعبادة غريزة.. فهناك حاجة فى داخل الإنسان للتعبّدِ لصاحب القوة والسلطان الأعظم.. ولأنّ الله هو الذى خلقَ كلّ شىء مِنْ عَدَم فهو الأعْظمُ.. لذا كان طبيعيّاً أنْ نَسْجُدَ لهُ ونَتعبّدُ.[٢]

يُنكِرُ بَعْضُ النّاس وُجُودَ اللهِ.. أو قد يُنكِرُون تعبُّدَهم لإلهٍ.. هذا لا يمنع وُجُودَ صنَم بداخل قلوبهم هُمْ له يتعبّدُون.. فلقد خلق الله الإنسان بإرادة حرّة للاختيار.. فمِنَ البشر مَنْ أحْسَنَ الاختيار بإرادته الحرّة.. ومنهم من أسَاءَ.. ومِنْ أرْوَع الأمثلة التى نَقرؤها فى كتابِ اللهِ.. ما قاله يَشُوعُ لبنى إسْرَائيلَ: "وإنْ سَاءَ فِى أعيُنِكمْ أنْ تعبُدُوا الرّبّ.. فاختارُوا لأنفسِكمْ اليَوْمَ مَنْ تعْبُدُونَ.. إنْ كان الآلهة الذين عَبَدَهُمْ آباؤكمْ الذين فِى عَبْر النّهْر.. وإنْ كان آلهة الأمُوريِّينَ الذين أنتمْ سَاكنون فِى أرضِهِمْ.. وأمّا أنَا وبَيتِى فنعْبُدُ الرّبّ".. فأجَابَ الشّعْبُ وقالوا: "حَاشَا لنَا أن نتركَ الرّبّ لِنَعْبُدَ آلهَة أخْرَى.. لأنّ الرّبّ إلهنَا هُوَ الذِى أصْعَدَنَا وآبَاءَنَا مِنْ أرْض مِصْرَ مِنْ بَيْتِ العُبُوديّةِ.. والذِى عَملَ أمَامَ أعيُنِنَا تِلْكَ الآيَاتِ العَظيمَةِ.. وحفَظنَا فِى كلِّ الطريق التِى سِرْنَا فيهَا.. فقالَ يَشُوعُ لِلشّعْبِ: فالآنَ انزَعُوا الآلِهة الغَريبَة التِى فِى وَسَطِكمْ وأميلوا قلوبكمْ إلى الرّبِّ إلهِ إسْرَائيلَ.. فقالوا:الرّبُّ إلهُنَا نَعْبُدُ ولِصَوتِهِ نَسْمَعُ".[٣]

ومِنَ النّصِّ السَالِفِ ذكره فِى مُستهلِّ حَديثِنَا الذى جاء بإنجيل يُوحنّا الأصْحَاح الرّابع بالعَدَدَيْن الثالِثَ والعِشْرينَ والرّابعَ والعِشْرينَ.. نَستنتِجُ أنّ السُّجُودَ نَوْعَان: وَاحِدٌ مَطلوبٌ والآخَرُ مَرْفوضٌ.. وأنّ السّاجدينَ نَوْعَان: بَعْضُهم اللهُ يَطلبُ.. وبَعْضٌ أخَرُ مِنَ السّاجدينَ اللهُ غَيْرُ طالِبٍ.. وبإنجيل متى الأصْحَاح السّابع يقولُ الرَبُّ يَسُوعُ: "ليْسَ كلّ مَنْ يقولُ لِى. يَا رَبُّ. يَا رَبُّ. يَدْخُلُ ملكوتَ السّمواتِ.. بل الذِى يفعلُ إرَادَةَ أبى الذِى فِى السّمَوَاتِ.. كثيرُونَ سَيقولونَ لِى فِى ذلِكَ اليَوْم. يَا رَبُّ. يَا رَبُّ. أليْسَ باسِمِكَ تنبّأنَا؟!. وباسْمِكَ أخْرَجْنَا شَيَاطينَ؟!. وباسْمِكَ صنَعنَا قوّاتٍ كثيرَةً؟!. فحينئِذٍ أصرّحُ لهُمْ: إنّى لمْ أعْرفكمْ قطّ!. اذهَبُوا عَنّى.. يَا فَاعِلِى الإثم! ".[٤]

وقد نتساءل: كيفَ نَعرفُ أنْ نميِّزَ بَيْنَ النوعيْن؟. وهلْ ذكرَ الكتابُ المُقدّس أمثلة للسُّجُودِ المَطلوب والآخَر المَرفوض؟. للإجَابَةِ على السؤال الأول نعُودُ إلى الأصْحَاح الرّابع مِنْ إنجيل يُوحنّا.. ونتأملُ إجابَة السّيِّدِ المَسيح على السّامِريّةِ حينَ سَألتهُ قائِلة: "آبَاؤنَا سَجَدُوا فِى هذا الجَبل وأنتمْ تقولون إنّ فِى أورُشليمَ المَوْضِع الذِى ينبَغِى أنْ يُسْجَدَ فيهِ".. فأجَابَهَا السّيِّدُ المَسيحُ بقولِهِ: "يَا امْرَأة صدقينِى إنّهُ تأتِى سَاعَة لا فِى هذا الجَبل ولا فِى أورُشليمَ تسْجُدُون للآبِ". مِنْ هُنَا نَعلمُ أنّ مكانَ الصّلاةِ ليْسَ شَرْطاً يُحَدِّدُ نَوْعَ السُّجُودِ إذا كَانَ مَقبُولاً أوْ مَرفوضاً.

---

[١] إنجيل يوحنا ٤: ٢٣ – ٢٤ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] إنجيل يوحنا ١: ١٧ ، سفر التثنية ١٠: ١٢ ، إنجيل متى ٤: ١٠ ، إنجيل مرقس ٤: ٨

[٣] سفر يشوع ٢٤: ١٥– ٢٤

[٤] إنجيل متى ٧: ٢١ – ٢٣

لقدْ وَضَعَ البَشَرُ قواعِدَ وأنظِمَة لِلعبَادَةِ.. لِدَرَجَةِ أنّهَا أصبَحَتْ طقوساً تمَارَسُ بالجَسَدِ.. وخَرَجَتْ عَنْ مَعْنَاهَا الحقيقيِّ.. وانخدع بعضُ الناس وتمسكوا بالقشُور وأهْملوا الجَوْهَر لذا جاء السيّدُ المَسيح ليَضعَ الأمورَ فِي نصَابهَا فقدّمَ الحقّ الصّريحَ لِلسّامِريّةِ عن العبادة الحقيقية بقوله لها: "ولكِنْ تأتِي سَاعَة وهِي الآنَ.. حينَ السّاجدُونَ الحقيقيُّونَ يَسْجدُونَ للآبِ بالرُّوح والحَقِّ لأنّ الآبَ طالِبٌ مِثْلَ هؤلاء السّاجدينَ لهُ اللهُ رُوحٌ.. والذينَ يَسْجُدُونَ لهُ فبالرُّوح والحَقِّ ينبَغِي أنْ يَسْجُدُوا".. إنّ العبادةَ الحقيقية تكونُ بالرُّوح والحَقِّ.. ومَنْ خرجَ عن تلك الحُدودِ المَوضوعةِ للعبادةِ والسُّجُودِ يكونُ سُجُودُهُ مَرفوضاً وعبادتهُ غَيْرَ مقبُولةٍ مَهْمَا ادّعَى أصْحَابُ الفرَائِض والطقوس.

إنْ الله لا يتقبل عبادتنا وسجودنا إذا كنّا لا نطيع وصاياه.. فبالأصحاح الأول من سِفر أشعْيَاءَ يُخَاطِبُ اللهُ هؤلاء الذين يقدّمُونَ عبادَة لهُ دُونَ طاعَةٍ لوصَايَاه قائِلاً: "مَنْ طلبَ هذا مِنْ أيديكم أنْ تدوسُوا دُورِى؟. لا تعُودُوا تأتون بتقدِمَةٍ باطلةٍ. البُخُورُ هو مكرَهَة لِي.. لسْتُ أطيقُ الإثمَ والاعتكَافَ.. فحين تبسُطونَ أيديكم أسترُ عينيّ عنكم وإن كثرتم الصّلاة لا أسْمَعُ. أيديكم ملآنة دَماً. اغتسلوا تنقوُا اعزلوا شَرّ أفعالِكمْ مِنْ أمَام عينيّ كفوا عَنْ فِعل الشّرِّ. تعلمُوا فعلَ الخَيْر.. "هلمّ نتحَاجَجُ يقولُ الرّبُّ. إنْ كانَتْ خَطاياكم كالقِرمز تبْيَضُّ كالثلج. إنْ كانتْ حَمْرَاءَ كالدُّودِيِّ تصيرُ كالصُّوفِ"[1].. ليتنا نفحَصُ نفوسَنا ونلبِّى دَعْوَةَ اللهِ لنَا ونكفُّ عَنْ فِعل الشّرِّ ونَتعلمُ فِعلَ الخَيْر.

لقد ضرب السيّدُ المسيح مثلا ورد ذكره بإنجيل لوقا للسجود المطلوب والآخر المرفوض لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرارٌ ويحتقرُونَ الآخَرينَ عن إثنيْن صَعِدا إلى الهيكل ليصليا وكان الأول فريسيّا.. وهو رجل يحفظ الشريعة ويُعلمها للآخرين ولكن للأسف كانت صلاته خالية من علامات العبادة المطلوبة.. لنتأمل ما قاله ذلك الفرّيسى فى صلاته: "اللهم أنا أشكرك أنّى لستُ مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الزناة.. أصُومُ مَرتيْن فِي الأسبوع.. وأعَشّرُ كلّ مَا أقتنيهِ".. لقد استهل الفرّيسى صلاته بخير ما تستهل به الصلاة وهو تقديم الشكر لله.. ثمّ أضاف على ذلك أنّه ليس بسارق أو ظالم أو زان.. يصومُ مرّتين فى الأسبوع ويقدّم عشراً مِنْ كلّ ما يقتنيه زكاة لله.. لقد ضاعت صلاته هَبَاءً لأنّ اللهَ غيرُ طالِبٍ مثل هؤلاء السّاجدينَ لهُ.[2]

كانَ الثانِى الذى صَعِدَ إلى الهَيكل ليُصلىَ جابى ضَرَائِب للمُستعْمِر. لمْ يجدْ أنّ له الحَقّ للتقدُّم إلى الأمَام.. فوقفَ مِنْ بعيدٍ لا يشَاءُ أنْ يَرفعَ عينيْهِ نَحْوَ السّمَاءِ.. بلْ قرَعَ على صَدْرِهِ قائِلاً: اللهُمّ ارْحَمْنِى أنَا الخَاطئ".. لقد عرف أنّ الله كلىّ القداسَةِ لا يتبَرّرُ أمَامَهُ إنسانٌ مَهمَا بَلَغَ برُّهُ فجميعنا خُطاة أثمة يُعوزنا برّ الله ورحمته وغفرانه.. إن الفرّيسى والعَشّار كليْهمَا كانت صلاتهما لله فهما مُؤمِنَان باللهِ.. ولكنّ الفرْقَ: أنّ الأول جَاءَ يُقدِّم كشفَ حسابٍ لأعْمال صَالِحة ارتكنَ إليْهَا واعتمَدَ عليْهَا.. أمّا الثانى فجَاءَ بيَدَيْن فارغتيْن مِنْ كلِّ صَلاح.. فإذا بالسيّد المسيح يُعلنُ النتيجَة التى لمْ تكنْ مُتوقعَة بهذِهِ الكلِمَات: اقولُ لكمْ: "إنّ هذا (العَشّار) نَزلَ إلى بيتِهِ مُبَرّراً دُونَ ذاكَ" (الفرّيسِىّ مُعلِم الشّريعَةِ).. "لأنّ كلّ مَنْ يَرفعُ نَفسَهُ يتضِعُ (الفرّيسىّ مُعلِم الشّريعَةِ). ومَنْ يَضَعُ نفسَهُ يَرتفِعُ (ويَعنِى العَشّارَ الذِى جَاءَ مُتضِعاً مُنكَسِراً) ". إنّ اللهَ طالِبٌ مثلَ هؤلاء السّاجدينَ لهُ (ويَعنِى العَشّارَ جَابى الضّرَائِب).[3]

أخى.. إنّ المسيحَ جاء ليدفع الدَيْنَ ويُوفى كلّ حِسَابٍ.. لا تظن أنّك بأعمال حسنة قادرٌ على خلاص نفسك.. خدعوك فقالوا: إنّ الحَسَنَاتِ يُذهبْنَ السيِّآتِ.. لقد قال الكتابُ: "لأنّه لا فرْقٌ. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجاناً بنعمته.. بالفداء الذى بيسوع المسيح.. الذى قدّمه الله كفارة بالايمان بدمه لإظهار برِّهِ مِنْ أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله"[4]. تعال إليه أخى معترفا بخطاياك.. سيمنحُك غفرانا ويهبك قوة لتعيشَ منتصراً على إبليس والخطية والعالم الشرير.. ستتمتع بفرح وسلام يفوق كلّ عقل.. أدعوك أخى كى تصلىَ معى: أبانا السّمَاوىّ.. آتى إليك معترفا بعدم استحقاقى.. ولكن فى استحقاق الدم أصلى.. "اللهم ارحمنى أنا الخاطئ".. أرفعُ صلاتى واثقاً مِنَ استجابتك.. متكلا على وعدك الصادق.. يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالة أو غيرها ستجدُ ذلِكَ فى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] سفر إشعياء النبى ١: ١٢ – ١٨
[2] إنجيل لوقا ١٨: ٩– ١٢
[3] إنجيل لوقا ١٨: ١٣– ١٤
[4] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٣: ٢٤ – ٢٦